

من خصائص سيرة النبي ﷺ

. حسن علي الشاقي (1)

! مل

إنَّ كلَّ خير يراه الإنسان في بقعة من بقاع الأرض، وكل نور يومض في كل أمة حتى لو كان ضئيلاً، وكل أثارة من صلاح أو كرم خلق أو صفاء سرية وطهارة قلب فإنَّ مردّه في الأصل إلى رسالات الله، أي إلى هداية النبيين . عليهم السلام ..

إنَّ أقطار الأرض كلها على سعتها قد بلغتها دعوة الأنبياء وطرقت مسامع أهلها سنن هدايتهم وأحكام تشريعهم، وما من أمة إلا وقد أرسل الله إليها رسله منذرين ومبشرين: **وَلَئِنْ أَهَّأَ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** { (1)

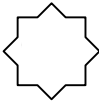
إنَّ كلَّ دعوة لا يتأتى لها النجاح والانتشار ما لم يكن لها من صاحبها والداعين إليها قدوة صالحة في التطبيق العملي لتلك الدعوة في أخلاقهم وسلوكهم ومواقفهم في الحياة (2).

(1) أستاذ مساعد بكلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية (الخرطوم . السودان).

(1) سورة فاطر، الآية (24).

(2) سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، مجمع البحوث العلمية، الجامعة الإسلامية، إسلام آباد،

1306هـ، 1986م، 43.



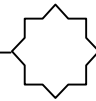
إنَّ سيرة النبي ﷺ العطرة، سجل حافل بالمآثر مليئاً بالمكرمات مفعم بالفضائل، إنها كنز المواعظ والعبر التي تنبئ بالنور، وترشد إلى الخير، وتوقظ الهمم، وتشحذ العزائم، وتذكى الإيمان، وترسم الطريق إلى مرضاة الله، وتضع المعالم أمام الدعاة والمصلحين وتجسدُّ م القيم العليا والمبادئ الرفيعة في شخص النبي ﷺ واقعاً محسوساً وحياة كريمة فاضلة سار على هديها الأجلاء ومن اتبعهم بإحسان، فاستتارت العقول وصلحت القلوب، وزكت النفوس، واستقامت الأخلاق، وكانوا . بحق . خير أمة أخرجت للناس .

ولقد كان السلف الصالح يعُلمون أبناءهم سيرة المصطفى ﷺ كما يعلمون السورة من القرآن لكي ينشأوا على الفضائل وينهضوا إلى المكارم ويتخذوا من الرسول ﷺ مثلاً أعلى وقدوة صالحة ينالون باتباعه واقتفاء أثره والعمل بسنته خير الدنيا وسعادة الآخرة⁽¹⁾ .

ومن العلوم المتصلة بالسيرة والتراجم والتي يتفرد بها المسلمون عن غيرهم من الأمم (علم الجرح والتعديل)، وهو جزء من رصيد المسلمين في كتابة التراجم والسير يقول المستشرق الألماني (شبر نجر) عن هذا العلم: "لم يكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة كما أنه لا توجد الآن أمة معاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول خمسمائة ألف رجل وأحوالهم"⁽²⁾ .

(1) أبو زهرة، محمد بن أحمد: خاتم النبيين ﷺ، إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر، الصفحات 4،

(2) ابن حجر أحمد بن علي: الإصابة، المقدمة، طبعته كلكتا.



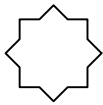
أمّا ما قام به المسلمون من حفظ واستقصاء وتدقيق لأحوال الرسول ﷺ فلا تدانيهم فيه أمة من الأمم الأخرى، فلم يتم حتى اليوم تدوين سيرة شخص ما بكل هذه الدقة والحيطه والشمول ولا يمكن أن يتم ذلك في المستقبل، حيث تم تدوين أحوال ثلاثة عشر ألفاً من الذين التقوا بالرسول ﷺ أو رأوه وذلك بهدف التأكد من صحة سيرة الرسول ﷺ⁽¹⁾.

سيرة النبي ﷺ هي الأسوة الحسنة للبشر، ولقد كان الأنبياء جميعاً على خلق عظيم، وقد أوتوا من حميد الخصال ومعالي الأخلاق ما لم يوت أحد غيرهم مثلهم، غير أن منهم من تجلى فيه خلق من الأخلاق. فكان أبرز فيه من غيره، فنبي الله نوح ﷺ اهتم بتبليغ الدعوة وإبراهيم كلان شديد العناية بالتوحيد، ودبب الإيثار إلى إسماعيل ﷺ، وجاهد موسى ﷺ جهاداً عظيماً وأزره في الحق أخوه هارون ﷺ، وظهرت الإنابة والاعتراف بالخطأ في يونس ﷺ، وغلب على يعقوب التسليم والطهر، وأمّا عيسى ﷺ فكان زاهداً معرضاً عن الدنيا وزهرتها، أمّا النبي ﷺ فقد تجلّت فيه كل هذه الصفات وأكثر منها⁽²⁾.

! تميز السيرة النبوية :

(1) د. جلال الحفناوى: فن السيرة، دار النشر للجامعات، مصر، الطبعة الأولى، 1419 هـ، 1998 م، ص 278.

(2) سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، الطبعة الأولى، 1306 هـ، 1956 م، ص 4.



تتميز سيرة النبي ﷺ بالكثير عن سير الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن باب أو لى أنها تتميز عن سير العلماء والمصلحين وغيرهم ممن لهم تأثير في المجتمعات الإنسانية بصفة عامة. ويمكننا حصر أهم هذه الميزات فيما يلي:

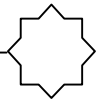
- [1] سيرة تاريخية.
- [2] سيرة كاملة شاملة.
- [3] سيرة جامعة.
- [4] سيرة عملية واقعية.

أولاً: تعد السيرة النبوية أصح سيرة لتاريخ نبي مرسل أو عظيم أو مصلح، ولإد لكل سيرة من سير الكمال الإنساني يدعى الناس للاقتداء بها واتخاذها أسوة أن يدعمها التاريخ ويشهد لها المحققون، إنَّ النفوس البشرية لا تتأثر بالأساطير والأوهام كتأثرها بحوادث التاريخ والروايات الثابتة عن النقات الأثبات⁽¹⁾.

وتتبين صحة السيرة من معرفة أهم مصادرها، وأهم مصادر السيرة هي:

- [1] القرآن الكريم.
- [2] كتب الحديث.
- [3] كتب السيرة والتاريخ.

(1) سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، مرجع سابق، 50/40.



وفيما يلي نستعرض هذه المصادر:

! القرآن الكريم:

القرآن هو كلام الله، المسموع من القارئ، المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المقروء بالألسنة، الذي أنزله الله على قلب سيدنا محمد ﷺ بواسطة جبريل ﷺ (1).

وقد تم التسجيل الكتابي للقرآن الكريم في حياة الرسول ﷺ، وأكرم الله بحفظه من شاء من أهله وقام أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً، ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم (2).

وهكذا تأتي الأولوية لأحداث السيرة أو للأحداث الخاصة بالسيرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم من الثابت قطعاً أن القرآن به كثير من الإشارات المتعلقة بوقائع السيرة النبوية إلا أن الناس لم ينظروا إلى هذه الآيات نظرة متفحصة (3).

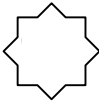
الجمع الأول للقرآن:

روى البخاري عن زيد بن ثابت: أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، (الحديث)، وقد جاء فيه قول أبي بكر لزيد: (إنك

(1) ابن حزم، علي بن سعيدانم حطّ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، 32/1.

(2) ابن الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، مكتبة القاهرة، 50/1.

(3) د. جلال الحفناوي: فن السيرة عند شبلي النعماني، مرجع سابق.



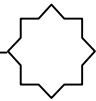
رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فنتبع القرآن فاجمعه)، "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قال زيد: "فتتبع القرآن أجمعه من العُسب والأخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره لِقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزًا عَلَيْهِمْ دَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْأَمْرِ وَالْمَنْزِلِ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" { (1) حتى خاتمة براءة". فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر . رضى الله عنهما. (2).

نسخ القرآن الكريم في المصاحف:

روى البخاري أنّ حذيفة بن اليمان ر قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان ر يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة، أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك.

(1) سورة التوبة، الآية (128).

(2) البخاري بحاشية السندي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر،



فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق⁽¹⁾.

من هذه الأحاديث الصحيحة التي نقلها البخاري وغيره يتبيّن الضبط المتقن والحفظ الذي لا يتطرق إليه الشك أبداً بالنسبة للمصدر الأول للسيرة النبوية وهو القرآن الكريم الذي تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه في قوله: **إِنَّمَا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**⁽²⁾.

لقد تعرض القرآن للكثير من جوانب السيرة النبوية في العديد من الآيات التي لا يمكن حصرها ولكننا نجتزئ منها بما تيسر.

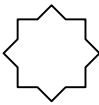
[1] تحدث القرآن عن نشأة النبي ﷺ في قوله تعالى: **إِنَّمَا يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ**⁽³⁾، ويواصل القرآن توجيهاته للنبي ﷺ في هذه السور **فَالرَّمَّا لِيُحْيِيَ فَلَا تَقْهَرُوا أُمَّةً**

(1) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، صحيح البخاري بحاشية السندي، مطبعة دار إحياء

الكتب العربية، فيصل الحلبي، مصر، 225/2.

(2) سورة الحجر، الآية (9).

(3) سورة الضحى، الآيات (8-6).



السَّائِلَ فَلَا وَتَنَّهُمْ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ⁽¹⁾. وهكذا كانت أخلاق الرسول ﷺ.

[2] تحدث القرآن عن بشرية الرسول ﷺ وهو يرد على المشركين عندما

يطلبون الخوارق من النبي ﷺ ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَيْمَانِ الَّتِي نُبُوعِنَا مِنْ نَحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَ لَهَا تُسْقِطُ السَّمَاءَ كَغَيْرِهَا سَقْدًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْأَمْلا نِكَّةً قَبِيلاً بَيْتٌ لَمْ يَكُنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّكَ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا⁽²⁾.

ويواصل القرآن تأكيد هذا المعنى في سورة الأنبياء والفرقان كما يؤكد

للنبي ﷺ أن لم يكن يعلم من أمر نبوته شيئاً قبل نزول الوحي عليه في قُلْ لَوْ شِئْنَا لَنُفِخَ بِالسُّؤْفَى عَلَى كَيْفِمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁽³⁾.

[3] تحدث القرآن عن أخلاقه الكريمة في قوله تعالى: ﴿لَنْ نَكُ

لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ⁽⁴⁾، وفي قوله تَعَالَى بِالْحَمْدِ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْقُضُوا مِنْ دَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُدِبُ الْأُمُورَ كَلِّينَ⁽⁵⁾.

(1) سورة الضحى، الآيات (119).

(2) سورة الإسراء، الآيات (93-90).

(3) سورة يونس، الآية (16).

(4) سورة القلم، الآية (4).

(5) سورة آل عمران، الآية (159).



[4] تحدث القرآن عما لقيه الرسول ﷺ من أذى وعنت في سبيل دعوته وما كان ينعته به المشركون من السحر والجنون صداً عن دين الله في قوله **إِنَّمَا هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِيَّةٍ فَجِرَّةٍ بَصُورًا بِهِ دَتَّى دِينَ** {⁽¹⁾}.
[5] تحدث القرآن عن معاركه وجهاده فذكر غزوة بدر وأحد والأحزاب

والحديبية وفتح مكة.

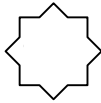
[6] تحدث القرآن عن أزواج الرسول ﷺ وذريته، وأنه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وأنه ليس من الملائكة ولا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً وأنه ليس خالداً في هذه الحياة وذلك في العديد من سور القرآن ⁽²⁾.
والآيات التي تحدثت عن سيرة النبي ﷺ وأخلاقه ومعاملاته أكثر من أن تُحصى ويكفي أن نشير إلى أن البيهقي صاحب كتاب "دلائل النبوة" قد ذكر من الآيات القرآنية التي يستدل بها على سيرة النبي ﷺ تسعاً وخمسين ومائتي آية، إذ ليس هناك أصدق ولا أوفى بالكلام عن شخصية الرسول ﷺ من القرآن الكريم ⁽³⁾.
! كتب الحديث:

كتب الحديث هي المصدر الثاني للسيرة والسنة النبوية الصحيحة. وكتب الحديث المشهود لها بالصحة هي الكتب الستة: البخاري، ومسلم، وأبو داود،

(1) سورة المؤمنون، الآية (25).

(2) راجع: سورة الرعد، الآية (38)، وسورة الفرقان، الآية (20)، وسورة الأحقاق، الآية (9)، وسورة الأنعام، الآية (50)، وسورة الأعراف، الآية (188)، وسورة الأنبياء، الآية (34).

(3) أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة. فهرس الآيات القرآنية: إعداد أبو هاجر محمد السعيد، ص



والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، ويضاف إليها: موطأ الإمام مالك، ومسند الإمام أحمد.

فهذه الكتب وخاصة البخاري ومسلم، في الذروة العليا من الصحة والثقة والتحقيق، أمّا الكتب الأخرى فقد تضمنت الصحيح والحسن وفي بعضها الضعيف أيضاً .

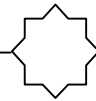
إنّ كتب الحديث قد تضمنت الكثير عن سيرة النبي ﷺ وقد رويت بالسند المتصل إلى الصحابة . رضوان الله عليهم . وهم الذين عاشروا الرسول ﷺ ولا موه، ونصر الله بهم دينه فكانوا أكمل أجيال التاريخ، استقامة أخلاق، وقوة إيمان، وصدق حديث، وسمو أرواح، وكمال عقول. فكل ما أوردوه لنا عن الرسول ﷺ بالسند الصحيح المتصل يجب أن نقبله بوصفه حقيقة تاريخية لا يخالجنّا الشك فيها⁽¹⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ كتّاب السيرة لم يبحثوا جيداً عن أحداث السيرة في كتب الحديث مع أنها تمتلئ بوصف جميع الأحداث وصفاً ضمناً، لهذا لو تم استقراء عام لها لوجدنا جميع الأحداث للهمة مذكورة في الصحاح الستة⁽²⁾.

حفظ السنة وتدوينها:

(1) د. مصطفى السباعي: السيرة النبوية، دروس وعبر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 1998م.

(2) د. جلال السعيد الحفناوي: فن السيرة عند شبلي النعماني، مرجع سابق، ص 286.



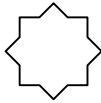
كانت السنة في عهد الرسول ﷺ محفوظة عند الصحابة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم، وإن كان نصيب كل صحابي منها يختلف من نصيب الآخر، فمنهم الكثير من حفظها ومنهم المقل ومنهم المتوسط في ذلك، ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة وتكفلوا بنقلها إلى التابعين. ويخطئ من يدعي أن بعضها قد فات علي الصحابة جميعاً بعد أن رأينا مدى عنايتهم بها وحرصهم عليها، فكيف يغيب عنهم شيء منها وهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ نيفاً وعشرين عاماً قبل الهجرة وبعدها، فحفظوا عنه: أقواله وأفعاله، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وقيامه وقعوده، واجتهاده، وعبادته، وسيرته، وسراياه ومغازيه، ومزاحه، وزجره، وخطبه، وأكله وشربه، ومعاملته أهله، وتأديبه فرسه، وكتبه للمسلمين والمشركين، وعهوده وموآثيقه، وألحاظه، وأنفاسه، وصفاته، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة وما سألوه من العبادات والحلال والحرام، أو تحاكموا فيه إليه. فكانوا بحق خير خلف لخير سلف ١٧ (1).

ولقد عرف الصحابة منزلة السنة فتمسكوا بها وتتبعوا آثار الرسول ﷺ واحتاطوا في رواية الحديث خشية الوقوع في الخطأ وخوفاً من أن يتسرب لللسنة المطهرة الكذب أو التحريف وهي المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم (2).

(1) محمد عجاج الخطيب: السنة قبل التدوين، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثانية، 1408 هـ، 1988 م،

ص 68/67.

(2) نفس المصدر، 98.



دور عمر بن عبد العزيز في خدمة السنة:

بالرغم من قصر خلافة عمر بن عبد العزيز . رحمه الله . إلا أنها كانت مباركة بعيدة الأثر، فقد كتب إلى الآفاق: "انظروا حديث الرسول ﷺ، فاجمعوه"⁽¹⁾، وكتب إلى أهل المدينة: "انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه فإنني خِفْتُُ دروس العلم وذهاب أهله"⁽²⁾.

وكتب إلى أبي بكر بن محمد بن حزم عامله على المدينة: "انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ، فإنني خِفْتُُ دروس العلم . أي اندراسه . وذهاب العلماء"⁽³⁾.

كما روى ابن سعد في "الطبقات"، والخطيب البغدادي في "تقييد العلم":
عن عبد الله بن دينار قال: "كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية، أو حديث عامرة بنت عبد الرحمن فاكتبه، فإنني قد خِفْتُُ دروس العلم وذهاب أهله"⁽⁴⁾.

(1) تاريخ أصبهان: لأبي نعيم، 312/1.

(2) سنن الدارمي، 126/1. المحدث الفاضل: للرامهرمزي، ص 374، وتقييد العلم: للخطيب، ص 106.

(3) صحيح البخاري، 204/1.

(4) الطبقات: لابن سعد، 134/2 و 353/8. وتقييد العلم: للخطيب، ص 106.



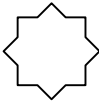
وكان من الذين شاركوا في هذا الجمع القاسم بن محمد بن أبي بكر أحد الفقهاء السبعة وعالم أهل زمانه الذي تلقى علمه عن عمته عائشة .رضى الله عنها ..

أمّا ابن شهاب فهو أحد الذين شاركوا في الجمع كذلك . وهو أحد أعلام ذلك العصر ونو مكانة رفيعة . قال أبو الزناد كُذِّبَ ما نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع، فلما احتيج له علمت أنه أعلم الناس⁽¹⁾ . ثم شاع العلم في الطبقة التي تلي الزهري فكان أول من جمعه ابن جريج في مكة، وابن إسحق ومالك في المدينة، والربيع بن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة بالبصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، والأوزاعي بالشام، وهشيم بواسط، ومعر باليمن، وجريز ابن عبد الحميد بالسرى، وابن المبارك بخراسان، وكل هؤلاء من أهل القرن الثاني⁽²⁾ .

وقد اتسم طابع التدوين في القرن الثاني بالحديث مختلطاً بغيره من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين . ومن أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني: "موطأ مالك"، و"مسند الإمام الشافعي"، و"مصنف عبد الرزاق ابن همام الصنعاني"، و"مصنف شعبة بن الحجاج"، و"مصنف الليث بن سعد" ومن عاصرهم من الدُّفاظ.

(1) الإمام مالك بن أنس: الموطأ مع شرحه تنوير الحوالك للسيوطي، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، مصر، 1951م، 4/1.

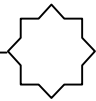
(2) ابن قتيبة: جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، 71/1.



بعد نهاية القرن الثاني صدُ نَفَتَ الصحاح، يقول البخاري: "كنا عند إسحق بن راهوية فقال: لو جمعتم كتبنا مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ، قال: فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح".
وصَحَّحَ عن البخاري أيضاً قوله: "رأيت النبي ﷺ وكأني واقف بين يديه ويدي مروحة أذب بها عنه، فسألت بعض المعبرين فقال لي أنت تذب عنه الكذب، فهو الذي حملني على إخراج الجامع الصحيح" وشرط البخاري أن يخرج الحديث المتفق على ثقته ذَقَاتَهُ إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات والأثبات، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع.
يقول البخاري: "ما كتبت في كتاب الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين". وروى الإسماعيلي عنه، قال: لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً، وما تركت من الصحيح أكثر"⁽¹⁾.
وجاء مسلم بعد البخاري وسار على منواله في جمع الصحيح. وقد استوعبت الستة الصحاح سنة النبي ﷺ وهي: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. بالإضافة لمسند الإمام أحمد، والذي بلغت أحاديثه ثلاثين ألف حديث وقد أخذ عنه كل من البخاري ومسلم⁽²⁾.

(1) ابن حجر: هدى الساري، مقدمة فتح الباري، ص 7.

(2) ابن خلكان: وفيات الأعيان، 63/1.



ومما يدل على ارتباط السيرة بالحديث تبويب الإمام البخاري في صحيحه: "كتاب المغازي" و"بواب مسلم كذلك في صحيحه: "باب الجهاد والسيرة"، وفي مسند الإمام أحمد: "كتاب المغازي". وهكذا فإنَّ السيرة كانت جزءاً من الحديث يرويهما الصحابة كما يروون أحاديث الصلاة والصيام. عني بعض العلماء بالناحية التاريخية كما عني غيرهم بأحاديث الأحكام، ثم أفردت بالتأليف وضُمَّ إلى الحديث غيره من أخبار الجاهلية وما في يد الناس من شعر⁽¹⁾.

يكفي أن نشير كدليل على أنَّ السنة النبوية مصدر أساس من مصادر السيرة إلى أنَّ الإمام البيهقي ذكر في كتابه "دلائل النبوة" من أحاديث الرسول ع عدد 3097 حديثاً ليستدل بها على سيرة النبي ع⁽²⁾.

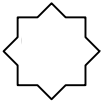
! كتب السيرة والتاريخ:

يعتبر تدوين السيرة اللبنة الأولى في تاريخ الإسلام، على أنها لم تَعُدْ في ذلك الخِطابُ تكون نوعاً من رواية الحديث، وكان أول من وضع في ذلك كتاباً عروة بن الزبير بن العوام ثم تلامبأُن بن عثمان ابن عفان إلى أن بلغ فن السيرة أوجه في كتاب ابن إسحاق⁽³⁾، والطريقة التي سار عليها الطبري

(1) مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الأولى، 1963م، بيروت، 31 - 28 .

(2) أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، قدأصوله وخرَّج أحاديثه وعلق عليه الدكتور/عبد المحسن قلججي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1405 هـ، 1985م.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، 1967م، 21/1.



في كتابه هي طريقة المحثين بأن يذكر الحوادث مروية بمقدار ما عنده من الطرق ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه، وقد نقل الطبري السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحق⁽¹⁾.

وفي نفس هذا السياق يقول الإمام الذهبي وهو يبيّن الكتب والمصنفات التي اعتمد عليها في كتابة "السيرة النبوية" الذي هو جزء من كتابه: "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام": "وقد طالعت مؤلفات من الكتب ومصنفات كثيرة منها:

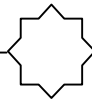
دلائل النبوة للبيهقي، سيرة النبي ع لابن إسحق، ومغازيه لابن عائد الكاتب، والطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي، وتاريخ أبي عبد الله البخاري، ومسند الإمام أحمد، والجرح والتعديل عن يحيى بن معين، والجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبي حاتم، وتاريخ الطبري، وتاريخ بن أبي شيبه، والكتب الستة⁽²⁾.

ويبيّن ابن كثير في كتابه المعروف: "البداية والنهاية" أنه يعتمد في السيرة على القرآن الكريم والسنة الشريفة وما تعلمه من كبار المؤرخين كالطبري وابن عمر والواقدي وعلى أصحاب السير⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه، 24. نقلاً عن د. جواد علي، مواد تاريخ الطبري مجلة المجمع العلمي بالعراق.

(2) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1994م، ص 13.12.

(3) الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، المقدمة، ضبطت وصححت بإشراف مكتبة المعارف ببيروت.

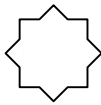


وقد ورد تلخيص لما سبق في مقدمة سيرة ابن هشام إذ جاء فيها:
بعد أيام معاوية ٧٠، اتجه العلماء إلى سيرة النبي ٤٤، ولعلمهم وجدوا في
تدوين ما يتعلق بشيئاً يحقق ما في أنفسهم من تعالُقٍ به وحبٍ لتخليد
آثاره بعد أن مُنِعوا من تدوين أحاديثه حتى أيام عمر بن عبد العزيز، مخافة
أن يختلط الحديث بالقرآن فجاء أكثر من رجل كلهم مدَّ دث، فدَّونوا في السيرة
كتباً نذكر منهم: عروة بن الزبير بن العوام الفقيه المحدث الذي مكَّنه نسبه
من قبَل أبيه وأمه أسماء بنت أبي بكر أن يروي الكثير من الأخبار
والأحاديث عن النبي، وحسبك أن تعلم أن ابن إسحاق والواقدي والطبري
أكثروا من الأخذ عنه ولا سيما فيما يتعلق بالهجرة إلى الحبشة والمدينة وغزوة
بدر، وكانت وفاة عروة . عليه رحمة الله . سنة 94هـ⁽¹⁾.

ثم أبان بن عثمان بن عفان المدني المتوفى سنة 105هـ، ألف في السيرة
صحفاً جمع فيها أحاديث حياة الرسول ٤٤، ثم وهب بن منبه اليماني المتوفى
سنة 110هـ، وفي مدينة هيدلبرج بألمانيا قطعة من كتابه الذي ألفه في
المغازي.

وغير هؤلاء كثير، منهم من قضى نحبه قرب تمام الربع الأول من القرن
الثاني كشرحبيل بن سعد المتوفى سنة 123هـ، وابن شهاب الزهري المتوفى
سنة 124هـ، وعاصم بن عمرو بن قتادة المتوفى فيما يقال سنة 135هـ وكان

(1) الذهبي تذكرة الحفاظ، دار الفكر العربي، 63/1.



هؤلاء الأربعة ممن عنوا بأخبار المغازي وما يتصل بها⁽¹⁾، ومنهم من عاش حتى أدرك منتصف القرن الثاني أو جاوزه بقليل، كموسى بن عقبه المتوفى سنة 141هـ، ثم معمر بن راشد المتوفى سنة 150هـ ثم شيخ رجال السيرة محمد بن إسحاق المتوفى سنة 150هـ.

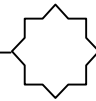
وظل ما قام به محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد تلميذ الواقدي وصاحب الطبقات المعروفة باسمه، ظل عمل هذين المؤلفين الأساس الصحيح لمن ألف بعدهما في السيرة النبوية العطرة، فصاحب السيرة الأول هو محمد بن إسحاق، وجاء ابن هشام وتعب كتاب ابن إسحاق بالتحريير والاختصار والنقد وذكر ما فات على ابن إسحاق من الروايات.

فابن إسحاق هو عمدة المؤلفين الذين اشتغلوا بوضع السير بعده، حتى يمكننا أن نقول: ما من كتاب وضع في السيرة بعد ابن إسحاق إلا هو غرّة من بحره، ولهذا لا بد من بيان منزلته ومكانته العلمية، فقد اختلفت الروايات حوله، فقد وثقه غير واحد من الأئمة الأعلام كابن شهاب الزهري وشعبة والثوري وزياد البكائي⁽²⁾.

يقول عنه ابن عدى: "لو لم يكن لابن إسحاق في الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ع ومبعثه ومبتدأ الخلق، لكانت هذه الفضيلة سبق بها ابن إسحاق وقد فتشت

(1) الذهبي، طبقات المحدثين، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 1984م، 46.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، المقدمة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1936م، 46.



أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما تهياً أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ واتهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره، ولم يختلف في الرواية عنه الثقات والأئمة، أخرج له مسلم في المبايعات، واستشهد به البخاري في مواضع، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه⁽¹⁾. وتاماً للفائدة أورد ما جاء في تذكرة الحافظ عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة: مَأْنُ وَتَّقْوَاهُ:

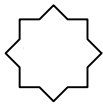
كان أحد أوعية العلم، حَبْرًا في معرفة المغازي والسير، قال يحيى بن معين: "قد سمع من أبي سلمة بن أبي عبد الرحمن وأبان بن عثمان"، وقال: "وهو ثقة وليس بحجة". وقال أحمد بن حنبل: "هو حسن الحديث". وقال علي بن المديني: "حديثه عندي صحيح"، وقال شعبة: "هو أمير المؤمنين في الحديث". وقال يزيد بن هارون: "لوارك لي سلطان لأمرت ابن إسحاق على المحدثين". وقال ابن عيينه: "ما رأيت أحداً يتهم ابن إسحاق". مَأْنُ ضَعْفَوَاهُ:

جاء عنه في تذكرة الحافظ:

ليس بذلك المتقن، انحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مَرَضِيٌّ، قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الدار قطني: لا يُحتج به، وكان مالك لا يثق به وقيل إن مالك غضب منه لقوله: اعضوا عليّ ع لم مالك فأنا بيطاره".

ثم يقول عنه الذهبي أخيراً:

(1) سيرة ابن هشام، المقدمة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1936م.



والذي تقرر عليه العمل أن ابن إسحق إليه المرجع في المغازي والأيام النبوية، مع أنه يشذ بأشياء، وأنه ليس بحجة في الحلال والحرام⁽¹⁾. وجاء في ترجمته كذلك:

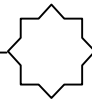
"محمد بن إسحاق بن يسار كان من الموالي، يرجع في نسبه إلى أهل فارس وقد ولد سنة 85هـ ونشأ في المدينة، وكان بها طائفة كبيرة من أجلاء العلماء فسمع منهم وأخذ عنهم ومنهم: محمد بن أبي بكر، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وابن شهاب الزهري، ثم رحل إلى مصر سنة 115هـ وسمع من يزيد بن أبي حبيب ثم عاد بعد ذلك إلى المدينة فكان يجمع الأحاديث وخاصة ما يتصل منها بالمغازي حتى اشتهر بها، وكان الإمام الشافعي يقول: "من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق"⁽²⁾. بهذا نكون قد بيّنا مصادر السيرة الموثوق بها وهي: القرآن، والسنة، وكتب السيرة والتاريخ.

نحن نؤمن بجميع الرسل وهذا من أسس العقيدة في الإسلام لقوله تعالى:
أَمِّنَ الرَّسُولُ بِرَمَلٍ أَنْ نُرْيِيكَ إِلَيْهِ وَمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
لَهُ لَا وَفُكَّرَتْ لَهُ بَيِّنَاتٌ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ⁽³⁾.

(1) الذهبي تذكره الحفاظ، دار الفكر العربي، مصر، 172/1.

(2) مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الأولى، بيروت، 28 . 31.

(3) سورة البقرة، الآية (285).



وقد فضّل الله الرسل بعضهم على بعض، ولكنهم جميعاً قاموا بدورهم كاملاً، ولكن لم يكتب لسيرة غير سيرة النبي محمد ﷺ الحفظ والبقاء. إنه ما من بلاد ولا أمة قبل النبي ﷺ إلا جاء فيهم نبي فكم نعرف منهم، وحتى الذين نعرفهم ماذا نعرف من سيرتهم.

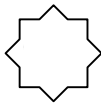
إننا عندما نقارن بين سيرة النبي ﷺ وبين سيرة غيره من الأنبياء . عليهم السلام لا نعمل ذلك للحط من قدرهم فهم الذين فضّلهم الله على سائر البشر ولكن لبيان أن سيرته قد حُفظت لأنه خاتم الرسل، ودينه خاتم الأديان.

إن محققي دائرة المعارف البريطانية قد توصلوا إلى أن أسفار التوراة وُنبت وجرعت بعد موسى ﷺ بقرون كثيرة، وحتى التوراة الموجودة، بها لكل حادثة روايات تعارضت أولها بأخرها⁽¹⁾.

إن الأنجيل الأربعة المعتمدة لدى أكثر المسيحيين لم يلق أحد من الذين جمعوها سيدنا عيسى ﷺ، بل إننا لا نعلم يقيناً اللغة التي كُتبت بها هذه الأنجيل في الأصل. وفي أي زمان كُتبت فقد اختلف مفسرو الأنجيل اختلافاً شديداً في تعيين زمان جمعها وتدوينها.

وهذا كله يضعف سيرة كل من سيدنا موسى وسيدنا عيسى -
عليهما السلام ..

The new Encyclopedia Britannica – Volume 2 William Benton Publisher 1943 (1)
(Bibge).



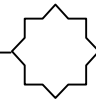
فكيف يمكن اتخاذ الأسوة الكاملة التي تطمئن إليها القلوب إن لم تكن جميع نواحي الحياة الشخصية للمُقتدى به معلومة؟، لم نجد ممن تقدم ذكرهم من يمكن أن تُتخذ حياته مثلاً أعلى للحياة الإنسانية إلاّ محمداً ﷺ، أليس من المستغرب أن بوذا الذي يبلغ عدد المنتسبين إليه ربع سكان العالم لا يحفظ التاريخ من سيرته إلاّ دة أقاصيص وحكايات لو أننا نقدناها بمقاييس التاريخ لخرجنا من ذلك بلا نتيجة⁽¹⁾.

يقول مايكل هارت:

"القرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملاً، وسجلت آياته وهو ما يزال حياً، وكان تسجيلاً في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد وليس في المسيحية شيء مثل ذلك. فلا يوجد كتاب محكم دقيق لتعليم المسيحية يشبه القرآن الكريم، وكان أثر القرآن الكريم بالغ العمق، ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى ﷺ على الديانة المسيحية.

وكان الرسول ﷺ على خلاف عيسى ﷺ رجلاً دنيوياً، فكان زوجاً وأباً، وكان يعمل في التجار ويرعى الغنم، وكان يحارب ويصدُ أب في الحروب،

(1) الشيخ سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، ترجمة محمد ناظم الندوي، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، الطبعة الأولى، 306هـ - 1986م، 54 - 58 .



ويمرض ثم مات، ولما كان الرسول قهوة جبارة فيمكن أن يُقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ.
إنّ هذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني هُؤنَّ بأنَّ محمداً ع هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها⁽¹⁾.
ثانياً : سيرة كاملة وشاملة :

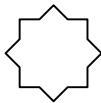
[1] حياة النبي ع كاملة في أطوارها موثقة منذ ميلاده إلى وفاته، وقد بذل علماء السيرة جهداً عظيماً في توثيق حياة النبي ع. من ذلك ما ذكره ابن القيم في "زاد المعاد في هدي خير العباد" مولده، ورضاعه، صباه، شبابه، زواجه، تجارته، سلاحه، أثائه، ملابسه، سراويله، ونعاله، وخاتمه، هديه في الأكل، هديه في النكاح، نومه، وانتباهه، و شراؤه، وبيعه، ومعاملاته، ومسابقته، ومصارعته، حتى ذكروا قضاءه للحاجة⁽²⁾. وبالجملة ليس هناك شخصية على مر التاريخ حظيت بالتوثيق مثل ما حظيت حياة النبي ع من التوثيق والمتابعة والتدوين.

[2] أعظم الناس إذا انقلب إلى بيته كان رجلاً من الرجال، وقد صدق فولتير إذ يقول إنَّ الرجل لا يكون عظيماً في داخل بيته ولا يكون بطلاً في أسرته⁽³⁾.

(1) مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد ع، ترجمة أنيس منصور، مطابع المكتب المصري الحديث، 19.

(2) ابن القيم: زاد المعاد، المطبعة المصرية، ومكتبتها 1389هـ، 248/1.

(3) الشيخ سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، الطبعة الأولى، 1306هـ . 1986م، ص 117.



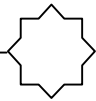
[3] النبي ﷺ قدّم نفسه أولاً لزوجته وابن عمه وصديقه وهم أعرف الناس به. وقد توفي النبي ﷺ عن تسع نسوة وقد أذن لزوجاته أن ينقلن عنه كل شيء من حياته حتى أخص خصوصياته، وقد استقصى ابن القيم هذا الأمر في كتابه: "زاد المعاد في هدى خير العباد" ذلك أن كل شخص مهما كان عظيماً ومثالياً في حياته تكون هنالك جوانب ضعف في شخصيته لا يريد أن يطّلع عليها الناس، غير أن زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين نقلن عنه كل شيء دون استثناء، وهذا من كمال شخصيته ﷺ وتمام الأسوة به.

[4] قضى النبي ﷺ أربعين سنة من حياته بين ألدّ أعدائه، وهم يعرفون عنه كل شيء، فلو كان يتصف بأي صفة سالبة منذ طفولته وشبابه لما توانوا في وصفه بها، ولكنهم لم يجدوا فيه ﷺ مغمراً أو تلمة في أخلاقه ومعاملاته. ولقد هاجر النبي ﷺ بعد ثلاثة عشر عاماً من مكة وأمانات قريش كلها في داره⁽¹⁾.

[5] بلّغ النبي ﷺ كل ما جاءه عن الله، حتى ما كان فيه لوم وعتاب شديد عليه مثل قصة عبد الله بن أم مكتوم τ التي أنزل الله بسببها سورة (عبس) وكان النبي ﷺ يقول لابن أم مكتوم: (هلاً بمن عاتبني فيه ربي)⁽²⁾.

(1) ابن كثير: السيرة النبوية، طبعه وصححه أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 363/1.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، 283/20.



وكذلك قصة زواجه من زينب بنت جحش زوجة متبذّاه زيد بن حارثة τ حيث كان المجتمع يرفض ذلك رفضاً شديداً ، وبالرغم من ضغط المجتمع الشديد لم يكتم النبي همّاً أنزل عليه.

[6] من يدخل الإسلام اليوم يجد فيه منهجاً متكاملًا وطريقة واضحة للحياة، ولننقده مقارنة بسيره بين قبيلة وثنية دخلت في النصرانية اليوم، فإنها تأخذ المسيحية من الإنجيل، أمّا مدنيّتها ومناهج حياتها فإنها تأخذها من حضارة أوربا وثقافتها وليس ذلك من النصرانية في شيء، أمّا إذ دخلت تلك القبيلة في الإسلام فإنهم يتعلمون الدين من هدى النبي ϵ وكذلك آداب المعاشرة والحياة الاجتماعية فإن كل ذلك واضح بيّن في سنة النبي ϵ وسيرته⁽¹⁾.

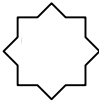
ثالثاً : سيرة جامعة:

[1] النبي ϵ يفتدي به الغني والفقير، فقد كان تاجراً يسير بتجارته بين الحجاز والشام، وعندما ملك خزائن البحرين وغيرها من المال الكثير كان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر كما وصفه أحد زعماء القبائل عندما أعطاه غنماً بين جبليين⁽²⁾.

(1) الشيخ سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية، إسلام

أباد، الطبعة الأولى، 1306 هـ. 1986 م، ص 139.

(2) ابن كثير: السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، 612/2.



ولقد حاصره المشركون في شعب أبي طالب حتى بلغ بهم الجهد وسمعت أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، وهاجر يوم أن هاجر إلى المدينة وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئاً⁽¹⁾.

[2] النبي ﷺ يقتدي به الضعيف المحروم عندما كان في مكة وكان المسلمون مستضعفين، وكذلك يقتدي به الملوك والحكام عندما دانت له الجزيرة العربية، فكان مثلاً في العفو والسماح عندما قال لأهل مكة: (أذهبوا فأنتم الطلقاء).

[3] النبي ﷺ يقتدي به الذي يخسر المعركة ويصاب حتى تكسر ربايعته ويذمى وجهه. كما حدث في أحد وحنين. ولكنه يثبت مع بعض الصحابة حتى تتحول الهزيمة إلى نصر فهو أشجع الناس وأقربهم للعدو إذ كان الصحابة يحتمون به إذ حمى الوطيس.

[4] النبي ﷺ يقتدي به الزوج في الحياة الزوجية مع خديجة. رضى الله عنها. ثم غيرها من أمهات المؤمنين في عدله وصبره. ويقتدي به الوالد الرحيم والجد الودود الذي كان يحمل أحفاده حتى وهو في الصلاة حتى يعلم الناس أن الرحمة لا تنفك عن هذا الدين وأنه لا منافاة بين الخشوع والحزم والرحمة والرفقة إذ كان النبي ﷺ عتجوز في صلاته عندما يسمع بكاء الصبي.

(1) ابن القيم: زاد المعاد، المطبعة المصرية ومكتبتها، 46/2.



[5] النبي ﷺ يقتدي به العالم والمتعلم، فقد كان أصحابه ١٧ يحرسون على ملازمته والأخذ منه حتى إن بعضهم كانوا يتناوبون على ملازمته عندما تشغلهم أمور المعاش كما كان يفعل عمر بن الخطاب τ وجار له من الأنصار.

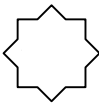
ويقتدي به كذلك طالب العلم عندما يأتي جبريل يدارسه القرآن في رمضان في كل عام. ويقتدي به القاضي في عدله وإنصافه إذ كان يقول: **إلعلَّ بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له، فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو يتركها**(1).

[6] النبي ﷺ كان مثلاً في التواضع والزهد، فقد وفد عليه عدى ابن حاتم الطائي عام الوفود بعد أن نصحته أخته التي أكرمها النبي ﷺ لكرم أبيها حاتم، نصحته بالذهاب للنبي ﷺ، وعندما وفد على النبي ﷺ كان يظنه ملكاً، يقول عدي: "فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته، تناول **وسمك أدمٍ محشوة ليفاً فقفزها إليّ** فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها"(2).

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، صحيح البخاري بحاشية السندي، دار إحياء الكتب العربية،

فيصل الحلبي، مصر، 239/4.

(2) ابن كثير: السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، 30/2.



هذه الصورة تبيّن ما كان عليه بيت النبي ﷺ من البساطة والزهد والخلو من متاع الدنيا، وقد دانت له جزيرة العرب بأكملها وهو يزداد زهداً وتواضعاً لله رب العالمين.

رابعاً: سيرة عملية واقعية:

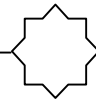
[1] يقول الله تعالى لنبيه **وَإِذْ كُنْتُمْ فِي الْكَافِرِينَ لَا جَرَّاءَ غَيْرِ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ⁽¹⁾؛ وإذا كانت إحدى هاتين الجملتين معطوفة على الأخرى فإنهما مربوطتان ربط العلة بالمعلول، فالثانية علة لأولى **فَجَرُّ** الرسول ﷺ لا ينقطع، وثوابه في الله لا ينفد، إذ الرسول ﷺ ذو خلق عظيم، وأعماله وأخلاقه بلغت من العلو والسمو المبلغ الذي لا ينقطع معه أجر صاحبها ولا يقل ثوابه لأنّ معين خلقه لا ينضب ونبع حسناته فوّار لا يغيض ⁽²⁾.

[2] كانت أعمال الرسول ﷺ منذ البداية متسمة بالإيجاب لا السلب، عندما نزل عليه الوحي وذهب إلى خديجة . رضى الله عنها - وقال لها: (لقد خشيت على نفسي!!)، قالت: "معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة، وتصل الرحم، وتصدق الحديث" ⁽³⁾.

(1) سورة القلم، الآيتان (3، 4).

(2) سليمان الندوي: الرسالة المحمدية، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، الطبعة الأولى، 1306 هـ . 1986 م، 182.

(3) السهيلي: الروض الأنف، دار النصر للطباعة، 1967 م، 408/2.



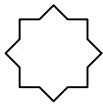
وفي رواية أخرى فثبتته وقالت: "ابشر، كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر"⁽¹⁾.
فالنبي كانت أخلاقه إيجابية، يمكن للإنسان أن يمسك نفسه عن الشر فلا يضرب أحداً، ولا يؤذي أحداً، ولا يتعدى حدوده، لكن هذا لا يكفي، فالنبي عيظنا من أول يوم أن نتسم أعمالنا بالإيجاب، وهذا هو شأن المسلم في المجتمع، فالمسلم عليه أن ينصر المظلوم، ويدفع السلب للأموال، ويأوي من لا مأوى له.

[3] هذه الواقعية العملية كانت واضحة بيّنة في أخلاق النبي ع وأعماله ولنذكر طرفاً من ذلك:

• أمر النبي ع الناس بالصلاة وحضهم عليها، وكان أحرص الناس على الصلاة المكتوبة، وما فاتته على طول الأيام والسنين إلا يوم الخندق عندما كانت المدينة محاصرة، وشغلوه عن صلاة العصر، عندما قال: (شغلونا عن الصلاة الوسطى). وقام النبي ع في صلاة الليل حتى تورمت قدماه.

• وحضّ المسلمين على الصوم، فكان يصوم الاثنين والخميس ويصوم عاشوراء، ويقول: (أفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً) وكان يصوم حتى تقول السيدة عائشة لا يفطر.

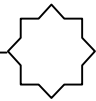
(1) المقرئبي: إمتاع الأسماع، الشؤون الدينية بدولة قطر، الطبعة الثانية، 15/1.



• ودَّبَّ الإنفاق للمسلمين وحثَّهم عليه وكان يقول مَنْ تَرَكَ دَيْناً فهو عَجَلٌ وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فهو لورثته). وكان ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، وكان كالريح المرسلة بالخير في رمضان، ولم يكن في بيته يوم مات غير صاع من شعير.

• وحثَّ المسلمين على الجهاد، وكان أشجع الناس فلا يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وكان الصحابة يتَّقون به إذا حمى الوطيس، وبلغ عدد الغزوات التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه ثماني وعشرين غزوة ابتداءً بغزوة الأبواء وانتهاءً بغزوة تبوك، وقد كسرت ربا عيتوش حَجَّ وَجَاهُهُ وَقَدِّلَ عَمَهُ لَمْ يُلْفَ إِلَّا صَابِرًا مُحْتَسِبًا (1).

(1) ابن القيم: زاد المعاد في هدى خير العباد، المطبعة المصرية، 1379هـ، 65/2.



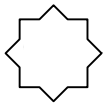
الخاتمة

سيرة النبي محمد ﷺ هي ترجمة عملية لتلك المسيرة المباركة المحفوظة بحفظ الله ورعايته، منذ أن نزل الوحي عليه بغار حراء بواسطة جبريل أمين الوحي وأفضل ملائكة الرحمن، فأشاحت قريش بوجهها عن الدين الجديد بالرغم من تمام معرفتها بالنبي ﷺ وأمانته وخلقه العظيم، وشال الله أن يجد الإيمان طريقة لكوكبة قليلة على رأسها أم المؤمنين خديجة بنت خويلد وأبو بكر الصديق وعلي وزيد وبلال ١٧.

سلكت قريش كافة السبل لرد النبي ﷺ ومن معه عن دينهم، من الإغراء والتهديد والوعيد ثم البطش بكل من انتسب لدين محمد ﷺ. قاسى المسلمون الأمر ريباً وعلي رأسهم نبينا محمد ﷺ وهم يحاولون هداية الحيارى المتكبين طريق الحق.

هذه السيرة المباركة هي ترجمة عملية لمراحل الدعوة من الهجرة الأولى للحبشة والثانية للمدينة، ليستقبل الأنصار النبي ﷺ وصحبه أكرم استقبال، وكُرِّمَ بالأنصار وأبناء الأنصار، أهل النصر والجهاد! وقد أكرمهم الله بإيواء أكرم البشر وأعظم الأديان حيث قامت دولة المدينة التي تمثل النموذج الأمثل للبشر جميعاً، بعد هذا انتقلت الدعوة لمرحلة المواجهة المسلحة وانتقلت من المحلية إلى العالمية.

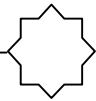
سيرة كهذه لا بد أن تتميز عن سير الناس أجمعين، إذن صاحبها هو إمام المرسلين وسيد الناس أجمعين، ودينه هو الخاتم وكتابه مهيمن على



من خصائص سيرة النبي ﷺ

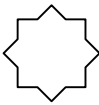
جميع الكتب، ولهذا تميزت سيرة النبي ﷺ بالأسوة الحسنة لجميع البشر وبالتوثيق والصحة والعملية والواقعية وبكمالها وشمولها وخلودها على مرّ السنين والأيام.

هذا طرف يسير من مميزات سيرة المصطفى ﷺ، وما زالت هذه السيرة حُبُّ لِي بِالْحِكْمِ والفوائد للبشر أجمعين.
أرجو أن يكون هذا البحث قد أضاء بعض الطريق للباحثين في سيرة النبي ﷺ وأرجو أن يجعل الله لي به نوراً في الدنيا والآخرة، آمين.



مصادر البحث

- [1] البخاري، محمد بن أحمد بن إسماعيل: صحيح البخاري بحاشية السندي، مصطفى البابي وأولاده، مصر.
- [2] البيهقي، أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة راجعه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه د. عبد المحسن قلعجي، دار الكتب، بيروت: 1985م.
- [3] ابن الجزري، محمد بن محمد: النشر في القراءات العشر، مكتبة القاهرة.
- [4] ابن حجر، أحمد بن علي: هدي الساري مقدمة فتح الباري، المكتبة السلفية.
- [5] ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة.
- [6] الحفناوي، جلال: فن السيرة في الأدب الأردني عند شبلي النعماني، دار النشر بالجامعات المصرية، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م.
- [7] الخطيب محمد عجاج لسانة قبل التدوين، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، 1408هـ، 1988م.
- [8] ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس.
- [9] دائرة المعارف البريطانية: (William Bentone) 1943م.
- [10] دروزة، محمد عزة: سيرة الرسول ع، صورة مقتبسة من القرآن الكريم، إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر.
- [11] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت 748هـ: تذكرة الحفاظ، دار الفكر العربي، مصر.
- [12] الذهبليين في طبقات المحدثين، دار الفرقان، عمان، الأردن.
- [13] أبو زهره، محمد بن أحمد: خاتم النبيين ع إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر.
- [14] لسهيلي، أحمد بن الحسين: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الفكر، بيروت: 1986م.



- [15] الطبري، محمد بن جرير "ت 310هـ": تاريخ الطبري، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1968م.
- [16] ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت: 1978م.
- [17] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.
- [18] ابن القيم، محمد بن أبي بكر: زاد المعاد في هدي خير العباد، المطبعة المصرية ومكتبتها.
- [19] ابن كثير، إسماعيل بن عمر "ت 774هـ": البداية والنهاية، ضبط وتصحيح لجنة مكتبة المعارف، دار الثقافة، بيروت.
- [20] ابن كثير: السيرة النبوية، ضبط وتصحيح الأستاذ أحمد عبد الشافع، دار الكتب العلمية، بيروت .
- [21] مالك بن أنس، الإمام: الموطأ وشرحه تنوير الحوالك للسيوطي، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر: 1951م.
- [22] مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد ع ترجمة أنيس منصور، مطابع المكتب المصري الحديث.
- [23] محمد علي، مولانا: حياة محمد ورسالته، ترجمة منير البعلبكي، الطبعة الأولى، بيروت: 1963م.
- [24] المقرئ، أحمد بن علي: إمتاع الأسماع، الشئون الدينية بدولة قطر، الطبعة الثانية.
- [25] الندوي، سليمان: الرسالة المحمدية، مجمع البحوث العلمية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، الطبعة الأولى، 1306هـ 1986م.

